الحواضر العلمية في المغرب الأوسط ودورها في خدمة صحيح الإمام البخاري بين الاستمداد والإمداد (أعلامها، وخصائصها، وأثرها).

بقلم:
الدكتور الياسين بن عمراوي

أستاذ محاضر في "السنة وعلومها" بقسم الكتاب والسنة
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية _ قسنطينة _
البريد الالكتروني والمهني: y.benamraoui@univ-emir.dz/ yacineproff@gmail.com

ورقة بحثية للمشاركة في الملتقى الوطني الموسوم بـ:

مدرسة الإمام البخاري في الجزائر – التاريخ، الامتداد، الآفاق-

يومي: الإثنين والثلاثاء: 22 و 23 أفريل 2024م

من تنظيم:
مخبر الدراسات القرآنية والسنة النبوية
كلية أصول الدين
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

العنوان: الحواضر العلمية في المغرب الأوسط ودورها في خدمة صحيح الإمام البخاري بين الاستمداد والإمداد (أعلامها، وخصائصها، وأثرها).

Scientific cities in the Central Maghreb and their role in serving the Sahih of Imam Al-Bukhari between extension and supply (its notables, characteristics, and impact)

الملخص: يُعنى هذا البحث بمكانة صحيح الإمام البخاري ومدرسته في المغرب الأوسط – الجزائر – من خلال توضيح دور علماء الجزائر وحواضرها العلمية خاصة –حاضرتا بجاية وتلمسان وما جاورهما– في رواية ونشر الجامع الصحيح، وخدمته من جوانب مختلفة روايةً بالأسانيد في أثباتهم ومروياتهم؛ ودرايةً بشرحه وبيان علومه الفذة من صنعة حديثية وفقهية، ثم إظهار مكانة علماء هذه الحواضر وأثرهم في مدرسة البخاري مشرقا ومغربا من خلال تدريسه وروايته.

Abstract: This research focuses on the significance of Sahih al-Bukhari and its school in the Maghreb region, specifically Algeria, by elucidating the role of Algerian scholars and their scientific centers, especially those in Bejaia and Telemcen, and their contribution to the narration and dissemination of Sahih al-Bukhari, as well as their service from various aspects: narrating with chains of transmission to prove and transmit their narratives, understanding and explaining its profound sciences of hadith and jurisprudence, and then demonstrating the status of scholars from these regions and their impact on the school of al-Bukhari, both in the East and the West, through their teaching and narration.

الكلمات المفتاحية: البخاري، الجامع الصحيح، الحواضر العلمية، بجاية، تلمسان، والرواية والدراية.

Keywords: Sahih al-Bukhari, Understanding and Narration, Scientific centers, Bejaia, Telemcen.

مقدمة : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الكريم، وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

لقد احتّل **الجامع الصّحيح للإمام البخاري** الذروة العليا من اهتمام المغاربة بعد موطأ الإمام مالك، رواية، وشرحا واختصارا، وجمعا بينه وبين كتب الإسلام الأخرى، وقد ضرب أعلام الجزائر عبر العصور بسهم وافر في خدمة صحيح البخاري من الجوانب المذكورة وغيرها، وقد نشطت الحركة العلمية بذلك خاصة في الحواضر الكبيرة التي استقر بها أولئك الأعلام فألفوا حول البخاري مصنّفات باهرة وبعضها لم يسبق إليها، وأخرى لم يسبق إلى مثلها، فأثرت تلك الكتب والمصنفات في الحركة العلمية في المدارس والأمصار الإسلامية الأخرى شرقا وغربا، فاستفاد الناس منها واحتفوا بها، فألفوا على منوالها أو أتموها وشرحوها أو اختصروها.

وكانت البواعث لبحث هذا الموضوع جملة أشياء نلخصها في الآتي:

1- القصور الملاحظ في الدراسات المتخصصة التي بحثت هذا الموضوع .

2- رغبة القائمين على ملتقى "مدرسة الإمام البخاري في الجزائر" الكتابة في موضوع يتعلق باهتمام أهل المغرب الأوسط بخدمة الجامع الصحيح من خلال بيان ملامح التأثر والتأثير.

أما اشكالات البحث ومجالاته فتتعلق أساسا بكيفية مساهمة الحواضر العلمية الجزائرية قديما وحديثا في خدمة البخاري؟، ومن هم أشهر أعلامها الذين خدموا الكتاب؟ وما هي الجوانب العلمية التي اعتنى بها أعلام الجزائر في صحيح البخاري؟، وما هي مظاهر التميز والابداع عندهم في خدمة الصحيح؟ وكيف تأثرت ثم أثرت هذه الحركة العلمية في المدارس والحواضر الإسلامية مشرقا ومغربا؟، وماهي مظاهر التأثر والتأثير في خدمة الجامع الصحيح؟ وكيف أجازوا وأجيزوا في رواية البخاري؟.

وتهدف هذه الدراسة إلى أشياء يصبو إليها البحث العلمي في مجاله التخصصي منها:

1- المساهمة في بيان وتوضيح جهود علماء المغرب الأوسط في خدمة الجامع الصحيح.

2- إبراز جوانب التميز عند علماء الجزائر في خدمة الصحيح رواية ودراية.

3- إتمام جوانب القصور في الدراسات السابقة التي تناولن هذا الموضوع، حيث يوضح ويشرح البحث ويترجم لأعلام لهم رواية، ودراية وقياما حسنا بالجامع الصحيح.

4- تجلية جوانب الغموض والخفاء في عناية الأمة الجزائرية بالصنعة الحديثة والفقهية واللغوية المتعلقة أساسا بكتب السنة النبوية خاصة الجامع الصحيح، ودفع دعوى اهمالها والاهتمام بالعقليات دون غيرها.

أما الدراسات السابقة فقد كتب جمع من الأفاضل حول عناية علماء الجزائر بصحيح البخاري من خلال الترجمة ابتداء لذلك العلم ثم ذكر مصنفه حول البخاري، منهم شيخنا وأستاذنا د. مصطفى حميداتو في: "أضواء على المحدثين الجزائريين الذين خدموا صحيح الإمام البخاري" لكنه لم يستقص ولم يستوعب مادته المختارة، ود. محمد عبد الله المولى في مقاله :"الجهود العلمية المتعلقة بصحيح البخاري في المغرب والأندلس" ذكر فيه أهل المغرب والأندلس الذين خدموا البخاري من خلال ذكر أعلامه وأشار إلى جملة من أعلام الجزائر من غير استقصاء إنما ركز على المشهور منهم، وغيرها في بابها أيضا فيها جوانب قصور واهمال أو عدم استيعاب لمقاصد تتعلق بالبحث والموضوع، ثم هي في الجملة أيضا: لم تتعرض للحواضر العلمية التي اعتنت بالصحيح ؛ قراءة وإجازة فيه وفي غيره مع ذكر أسانيدهم العالية، وكيف أثرت مصنّفات الجزائريين في الحركة العلمية في المشرق والمغرب خاصة أعلامهم الذين أخذوا عن مشايخ المغرب الأوسط، مع استظهار ملامح التميز في خدمات الجزائيين للبخاري، وكيف اتصلت هذه الجهود عبر التاريخ العام والثقافي للمغرب الأوسط، وهذا ما يحاول البحث إبرازه وبيانه توضيحه بأدلته التاريخية والعلمية، مع تسمية أعلامه ومصنفاتهم وشيئا من طرائقهم في التصنيف كما سبق شرحه وبيانه في مقاصد البحث واشكالاته.

وقد اعمدت في هذا البحث ذكر حاضرتي بجاية وتلمسان وما جاورهما ذاكرا أعلامهما ومصنفاتهم ممن قل ذكرهم في الدراسات المعاصرة التي اعتنت بهذا الباب – على وجه التتبع والتّمثيل لا على الاستيعاب والاستقصاء –، مع رعاية خصوصية إبراز من كان مغمورا أو قلّت الإشارة إليه في تصانيف القوم، وكان الهدف من ذلك ابراز بعض جوانب العناية المتميزة بالجامع الصحيح التي سبقت الإشارة إليها، وتركت ذكر بعض أعلام هذا البلد كالداودي، والبوني ممن استفاضت الدراسات السابقة ببيان مصنفاتهم وأثرهم.

أما مصادر البحث ومراجعه المتخصصة فكتب التاريخ والتراجم والطبقات والأعلام والفهارس والأثبات خاصة المغاربية منها كعنوان الدراية للغبريني، ونفح الطيب للمقري، وتاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله ففيها كنوز تستخرج عن حواضر الإسلام في المغرب الاوسط ومعاقل علم الحديث النبوي خاصة من جانب

رواية صحيح محمد بن إسماعيل وبحث علومه، وكذلك رحلات المشايخ منهم إلى المشرق والمغرب لنشر الجامع الصحيح رواية ودراية.

للإجابة عن اشكالات البحث انتظمت المداخلة في مقدمة ومحورين اثنين وخاتمة:

مقدمة: فيها التعريف بالموضوع وفكرته واشكالاته وأهدافه وأهم الدراسات السابقة، ومنهج البحث فيه.

المحور الأول: صحيح الإمام البخاري في حاضرة بجاية وما جاورها.

المحور الثاني: صحيح الإمام البخاري في حاضرة تلمسان وما جاورها.

خاتمة: فيها أهم نتائج البحث وتوصياته.

المحور الأول: صحيح الإمام البخاري في حاضرة بجاية وما جاورها.

كانت بجاية حاضرة عامرة بالعلم خاصة علوم الوحيين، قال ياقوت الحموي: قال أبو طاهر بن سكينة: سمعت أبا محمد عبد الله بن محمد بن يوسف الزناتي الضرير بالثغر يقول: حضرت هارون بن النضر الريغي بالريغ في قراءة كتاب البخاري والموطّأ وغيرهما عليه وكان يتكلّم على معاني الحديث، وهو أمّيّ لا يقرأ ولا يكتب، ورأيته يقرأ كتاب التلقين لعبد الوهّاب البغدادي في مذهب مالك من حفظه كما يقرأ الإنسان فاتحة الكتاب، ويحضر عنده دون مائة طالب لقراءة المدوّنة وغيرها من كتب المذهب عليه"[1].

"فظهر بالجزائر الحمادية العلماء والشعراء والكتاب والمؤرخون والأطباء والرياضيون وغيرهم، ظهورا لا عهد للجزائر به من قبل، كانت لعلوم الدين المنزلة الأولى ويليها علوم العربية، وينسب الى القلعة وبجاية فما دونهما من ممالك الحماديين علماء كثيرون تجد نبذا من أخبارهم متفرقة في الدواوين"[2].

فكانت عناية أهل بجاية ومن جاورهم من الحواضر من الجزائر المحروسة إلى بونة مرورا بقسنطينة في الشمال إلى حاضرة بسكرة والمسيلة وما قاربهما كانت لهم العناية الجلية بصحيح البخاري رواية من خلال السماع والتحديث والإجازة فيه، ودراية من خلال شرحه وبيان غريبه والنظر في رجاله وغيرها من علومها، وفيما يأتي بيان لبعض ذلك:

[1] – معجم البلدان: 113/3، وريغة بلدة قريبة من قلعة بني حماد في بجاية.

[2] – تاريخ الجزائر في القديم والحديث: مبارك بن محمد الميلي الجزائري : 266/2

أولا: **الرواية والسماع**:

وكان في حاضرة بجاية قديما أئمة أعلام، لهم عناية بالحديث وسماعه وقراءته وإجازته لأهل العلم به خاصة رواية كتب الإسلام كالموطأ والصحيحين، ولعل في مقدمة هذه كلها صحيح الإمام البخاري ، ففي القرن السابع مثلا اشتهر منهم :

1- **علي بن أبي نصر فتح بن عبد الله**: 606 - 652هـ/1209 - 1254م: الشيخ الفقيه، العالم العابد الورع المبارك، أبو الحسن علي بن أبي نصر فتح بن عبد الله، من أهل بجاية، ولد بها سنة ست وخمسمائة وتوفي بها ليلة التاسع والعشرين لجمادى الأخيرة، من عام اثنين وخمسين وستمائة، كان له فضل وعلم ونسك وصلاح وديانة ووجاهة ونباهة، رحل إلى الأندلس وبعدها إلى المشرق، واستقر قراره ببجاية، وكان بها يروي ويسمع ويتفقه عليه، وله علو سند في الحديث.... وسنده في البخاري عن الشريف أبي محمد ابن يونس بن يحيى بن أبي الحسن ابن أبي البركات، عن أبي الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب عن أبي الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن داود الداودي عن عبد الله بن أحمد ابن حمويه عن محمد بن يوسف عن الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري المذكور، **وهذا السند عال وقد روى عنه الأندلسيون ببجاية، لقصور سندهم عن هذا السند، روى عنه أبو بكر ابن محرز، فإن سند أبي بكر في البخاري، سند قاصر عن هذا السند، وهذا السند أعلى منه، وهو من أعلى الأسانيد ومن أحسن ما تلقى.."**[3] .

قلت: وهذا كلام فخم وخبر رائق في علو أسانيد شيوخ المغرب الأوسط – الجزائر – في البخاري وغيره، حتى وفد إليه أهل الأندلس للأخذ عنه في أسانيد البخاري، إذ احتاجوا إليه لقصور أسانيدهم عنه ، رغم أن الأندلس كانت حاضرة عامرة فيها من أهل الحديث ما لا يحصون عددا، خاصة أنه عاش فيهم قبل هذا القرن بزمن طويل كأبي الوليد الباجي وابن عبد البر وابن حزم وابن العربي وأبي علي الغساني وغيرهم من أفذاذ هذا العلم.

وممن ورد عليها – حاضرة بجاية – من أهل الأندلس واستوطنها مدة ودرّس بها وأقرأ الناس بها:

[3] – عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، للغبريني (ص: 137-139).

2-أبو بكر محمد بن أحمد بن يحي بن محمد بن محمد ابن سيد الناس اليعمري الإشبيلي 597 - 659هـ/1201/ - 1261م:"كان رواية، حافظا بالحديث، عارفا برجاله وبأسمائهم وبتاريخ وفاتهم ومبلغ أعمارهم، **وكان يقوم على البخاري قياما حسنا**، وكان إذا قرأ الحديث يسنده إلى أن ينتهي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ثم إذا انتهى الإسناد رجع إلى ذكر رجاله، فيبدأ من الصحابي رضي الله عنهم فيذكر اسمه ونسبه وصفته وتاريخ ولادته ووفاته وحكايته أن عرفت له، ثم يتلوه بالتابعي كذلك، ولا يزل يتبعهم واحدا فواحدا إلى أن ينتهي إلى شيخه فيقول، أما فلان شيخنا فيقول: ويذكر ما ذكر فيمن تقدم، ويزيد على ذلك بأنه لقيه وقرأ عليه كذا، وسمع منه كذا، وبعد الفراغ من ذلك يذكر لغة الحديث وعربيته، ويتعرض لما فيه من الفقه والخلاف العالي، ولدقائقه ورقائقه والمستفادات منه. كل ذلك بفصاحة لسان، وجودة بيان"[4].

ولا شك أن هذا من العناية التامّة بالبخاري من كل جوانبه الإسنادية والمتنية ، ولعلها لم تكن إلا لأئمة قلائل من أئمة الصنعة الفقهية والحديثية والعربية، بل لعل هذا من نوادر العصر المتأخر بعد الحفاظ النّقاد، "**مما** جعل حاكم إفريقية يستدعيه ويقربه ويمكن له لينشر علمه فيه وكان من أخص الحاضرين من الطلبة بمجلسه"[5].

3- أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد، أبو العباس الغِبْرِيني (المتوفى: 714هـ)، وهو ممن له عناية بالبخاري أيضا رواية بالإجازة العامة، وبالسماع فقد ذكر في آخر كتابه "عنوان الدراية" الشيوخ الذين أخذ عنهم سماعا وتحديثا وإجازة ، حيث ذكر أنه أخذ البخاري إجازة من الشيخ أبي الحسن ابن السراج ، وسماعا من أبي عبد الله بن صالح عن القاضي أبي الحسن بن قطرال عن أبي القاسم أحمد بن رشد القيسي بإسناده إلى الفربري عن البخاري[6].

4- محمد بن أحمد القسنطيني، الشريف الحسني، المعروف بابن الكماد: (1116هـ / 1704م) وأثنى عليه الكتاني وترجم له ترجمة فاخرة وذكر أنه كان إماما نظارا مطلعا أذعن له أهل عصره، أخذ عن أبي عبد

[4] - عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية: (ص: 291).

[5] - عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية: (ص: 295).

[6] - عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية (ص:367- 368)

الله المقري بزواوة، ومحمد بن سعيد قدورة بالجزائر[7]. وقيل: "منطقي، محدث، فقيه، متكلم، كان أحفظ علماء عصره، من أهل قسنطينة، وبها نشأ وتعلم، ثم رحل إلى المغرب الأقصى"[8] .

وذكره محمد بن عزوز ضمن العشر الأوائل الذين تولوا كرسي الإمام البخاري في جامع القرويين بفاس[9].

و كان يروي البخاري ثم شرحه أيضا فعادة الشيوخ الجمع بين هاتين الصنعتين لمن كانت له مكنة، وابن كماد من أعلام الإسلام.

5- أحمد بن سعيد العباسي توفي سنة 1251: له "ثبت" باسمه: وهو عالم قسنطينة وثبته هذا يجمع أسانيده في الكتب الصحاح الستة، وقد جمعه له تلميذه الشيخ عبد الحميد الصائغ الحركاتي، يرويه الكتاني عن السيد حسين الحبشي عن السيد عيدروس بن عمر الباعلوي عن محمد نور الإدريسي المغربي عنه.[10].

6- عبد الرحمن الجيلالي: وله إجازات التي حصل عليها الشيخ من شيوخه الآتية أسماؤهم: المولود الزريبي، وعبد الحليم بن سماية والحفناوي بن الشيخ. ونحن إلى الآن لم نطلع على نصوص الإجازات التي قيل إنها في صحيح البخاري. وقد تكون عامة، ذلك أن المشائخ الثلاثة ممن كانوا يجمعون بين عدة علوم عقلية ونقلية، ولهم باع طويل في فن الإنشاء والأدب[11].

وقد جرت عادة أهل المغرب الأوسط أن يقرؤوا البخاري وغيره ختمات كلما أتموا ختمة أعادوها، "ومن تقاليد الجزائريين أن الذي يختم تفسير القرآن الكريم أو صحيح البخاري أو عقيدة السنوسي في التوحيد يتقدم إليه الشعراء ليلة الختم بالمدح في حفل مهيب يقام لهذا الغرض في أحد المساجد...كان الشاعر أحمد بوطالب الغريسي الذي ذكرناه بالنسبة للشعر السياسي قد مدح الشيخ علي بن الحفاف، مفتي المالكية في الجزائر (ت 1307/ 1889) وهنأه بختم الحديث الشريف"[12].

---

[7] – ينظر ترجمته: في سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، محمد بن جعفر الكتاني، 35/2 وما بعدها .

[8] – معجم أعلام الجزائر: 274.

[9] – كرسي صحيح الإمام البخاري بجامع القرويين بفاس، محمد بن عزوز ص: 94.

[10] – فهرس الفهارس: 2/ 832. تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله: (7/ 49)

[11] – تاريخ الجزائر الثقافي: (7/ 63).

[12] – المرجع نفسه: 264/8

ثانيا: الشروح والمختصرات والتعليقات:

ولأهل بجاية وما قاربها من حواضر علمية عناية بالبخاري من جانب الدراية شرحا وبيانا لغريبه وسائر علومه، وهنا يمكن رصد جلّة من العلماء الذين اهتموا بالجامع من ناحية الدراية منهم:

1- **يحيى بن عبد الرحمن بن محمد بن صالح بن علي بن عمر بن عقيل الزرماني العجيسي**، شرف الدين: عالم بالنحو والعربية وتاريخ الصحابة، له مشاركة في كثير من العلوم. ولد بأرض عجيسة ونشأ ببجاية وتعلم بها وبقسنطينة وعنابة وتونس، فأخذ عن أشياخها علوم الفقه والحديث والتفسير والنحو والمحاني والبيان وغير ذلك. ورحل الى المشرق سنة 804 هـ .. ثم استوطن القاهرة متصديا للإقراء والتأليف والمطالعة، ودرس بالشيخونية وبجامع ابن طولون والاشرفية القديمة والخروبية وغيرها. قال السخاوي: كان إماما نحويا فصيحا مفوها، قوي الحافظة، ذاكرا لملح كثيرة ونوادر متقنة، حافظا لجمل مستكثرة من أخبار الناس المتقدمة وأيامهم، خصوصا وقائع الصحابة. وقد اجتمعت به مرارا وسمعت من فوائده، أجاز لي، و "**شرح صحيح البخاري** " لم يكمله[13].

فهذا العلم سمع ببجاية وهو من أهلها وكان أثره في المشرق واضحا فقد أخذ عنه الأفذاذ كالسخاري وغيره، فعله قد ذاكره في جوانب تتعلق بشرحه على البخاري. والله أعلم.

2- **محمد بن سعيد بن ابراهيم قدورة**، أبو عبد الله: نحو 1120هـ من أكابر علماء مدينة الجزائر، انتهت اليه خطابتها وفتياها. قال في "تعريف الخلف": شيخ الفقه والحديث ووارث الشرف القديم والحديث، عليه يعتمد في رواية الآثار وتصحيح أسانيد الأخبار .. " وقال ابن زاكور: "سمعت من إملائه في مجلسه الخطير جملة وافية من الجامع الصغير وأبوابا من صحيح البخاري، **سماع دراية وتحقيق رواية**، فرأيت من ظرفه ولطفه ما سحر وبهر، وتنزهت من فهمه وحفظه في جنة ونهر .. "[14].

3- أبو العباس أحمد ابن الشيخ قاسم بن محمد توفي سنة 1139 هـ[1726 م]: عرف ساسي البوني عالمها وصالحها الإمام العلامة المحقق الفهّامة المحدّث الراوية المسند الواعية. أخذ عن أعلام منهم والده ويحي الشاوي والزرقاني والخرشي والشبرخيتي وخليل..، له كتب منها: **"فتح الباري في شرح غريب البخاري "**[15].

---

[13] - الضوء اللامع: 231/10، ومعجم أعلام الجزائر: ص230.

[14] - تعريف الخلف برجال السلف 382، ومعجم أعلام الجزائر: ص26.

[15] - هدية العارفين 1: 90 / شجرة النور الزكية: 1/ 476.

4- **وممن اعتنى بغريب الصحيح**؛ أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف الحمزي الوهراني: يعرف بابن قرقول الإمام العالم الفقيه الفاضل الرحلة المحدث الراوية. قرأ على جده لأمه أبي القاسم بن ورد وأبي الحسن بن نافع وابن موهب وابن العريف والرشاطي وابن وضاح وغيرهم مما هو كثير، وكتب له بالإجازة ابن عتاب والسلفي والإمام المازري، له رواية عن طارق بن يعيش وابن هذيل والقاضي عياض ألّف **مطالع الأنوار على منوال مشارق الأنوار** للقاضي عياض. مولده سنة 505 هـ وتوفي سنة 569 هـ[1173م]، بفاس[16].

واسم كتابه كاملا: مطالع الأنوار على صحاح الآثار في فتح ما استغلق من كتاب الموطأ والبخاري ومسلم وإيضاح مبهم لغاتها وبيان المختلف من أسماء رواتها وتمييز مشكلها وتقييد مهملها"[17].

وكان ابن قرقول له عناية تامة بالجامع الصحيح ورواياته، وضبط رواية الأصيلي وأبي ذر، دل هذا صنيعه الذي حكاه ابن حجر في الفتح من خلال ذكر رأيه في ضبط بعض الألفاظ[18]. وعليه فلا يتكلم في الغريب ومشكلات البخاري إلا من كان صحيح الرواية واسعها، محيط بلغة العرب واختلافاتها.

5- **شرح صحيح البخاري لعلي الونيسي**.(1322هـ / 1904م)، وقد توفي هذا عن 92 سنة. وقيل إن الشرح قد وصل إلى إثني عشر جزءا، ولكننا لا ندري طريقته في ذلك، ولا دوافعه، ولا في أي شيء اختلف شرحه عن شروح البخاري الأخرى، على أن جهده يدل على تمكنه من ثقافة أدبية ودينية عميقة. وللونيسي مؤلفات أخرى، منها ختمات كثيرة في كتب الحديث مثل الصحيحين والموطأ والشفا[19]. ومن مصنفاته أيضا تعريف الخلف[20].

6- **تعليق على البخاري**: ليحي بن أحمد بن عبد السلام بن رحمون، شرف الدين، أبو زكريا، المعروف بالعلمي: من كبار فقهاء المالكية، كان عالما بالفقه وأصوله والعربية والمنطق والمعاني والبيان وأصول الدين. من أهل قسنطينة، تعلم بتونس، ورحل الى المشرق فنزل مصر ودرس بالمنصورية وجامع الأزهر.

---

[16] – التكملة لكتاب الصلة:1/ 130، السير: 20/ 520.

[17] – طبع ب: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، بقطر، 1433 هـ - 2012 م، ينظر: منهج الحافظ ابن قرقول في كتابه "مطالع الأنوار على صحاح الآثار، عياشي عمر حمزة، رسالة دكتوراه، بإشراف أد. يوسف عبد اللاوي، جامعة الوادي.

[18] – ينظر أمثلته الكثيرة في الفتح: 1-486/ 582/490/ 2-374/152/..

[19] – تعريف الخلف 113. تاريخ الجزائر الثقافي: (7/ 44).

[20] – معجم أعلام الجزائر: 346.

وحج سنة 875هـ واستوطن مكة الى ان مات بها.." ومن آثاره أيضا "شرح الرسالة" في الفقه، في مجلد، و"تعليقات" على المدونة، أخذ عنه السخاوي الحافظ، وغيره[21].

وبهذا يظهر لنا مدى عناية أهل تلكم الحاضرة بصحيح البخاري رواية ودراية، من خلال:

أ/ روايته بأسانيد متصلة إلى صاحبه، ولا شك أنهم كانوا أصحاب أثبات ومشيخات وبرامج ، وبعضها عالية الإسناد حتى احتاج إليها أهل الأندلس.

ب/ الاحتفاء بالجوانب الحديثية والفقهية وكذا الغريب فيه، فاعتنوا بضبط أسماء الرجال، وشرح غريبه، ويتعرضون لما فيه من الفقه والفوائد.

المحور الثاني: صحيح البخاري في حاضرة تلمسان وما جاورها.

أوردت من كان مختصا بها: كل عالم أو محدث أو معتن بالصحيح ممن نسب إليها أو ورد عليها أو درس فيها، أو أخذ من شيوخها علم الحديث رواية أو دراية ثم كانت له عناية بالجامع الصحيح.

أولا: الرواية والسماع:

فممن روى البخاري عن الشيوخ النبل من أهل تلمسان: المقّري الجد، فجاء إسناده عن الحجار الآتي ذكره في رواية البخاري عاليا وبالسماع، وهذا نظيره عسير عند أهل الرواية، وله فيها عدة طرق:

الأول والثاني: أخذه عن أبي زيد عبد الرحمن، وأبو موسى عيسى، ابنا محمد بن عبد الله ابن الإمام وقد لقيا جلال الدين القزويني صاحب البيان، وسمعا صحيح البخاري على الحجار، ثم قال – القائل هو المقري– وقد سمعته أنا عليهما.. [22].

والثالث: أخذه عن الأستاذ المقرئ الراوية الرحلة أبي الحسن علي بن أبي بكر ابن سبع بن مزاحم المكناسي. ورد علينا من المشرق، فأقام معنا أعواماً، ثم رحل إلى فاس، فتوفي بها في الوباء العام، جمعت عليه السبع، **وقرأت عليه البخاري** والشاطبيتين وغير ذلك، فأما البخاري فحدثني به قراءة منه على أحمد بن الشحنة الحجار سنة ثلاثين وسبعمائة، وكان الحجار قد سمعه على ابن الزبيدي سنة ثلاثين وستمائة، وهذا ما لا يعرف

[21] – ينظر ترجمته في: الضوء اللامع 10/ 216 ، والاعلام (9/ 164)، وشجرة النور الزكية: 265 ومعجم المؤلفين لرضا كحالة: 9– 139. لكن اقتصب ترجمته جدا.

[22] – نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب: (5/ 215).

له نظير في الإسلام، وقد قال عبد الغني الحافظ: لا نعرف في الإسلام من وازاه غير عبد الله بن محمد البغوي في قدم السماع، فإنه توفي سنة سبع عشرة وثلاثمائة، قال ابن خلاد: سمعناه يقول: أخبرنا إسحاق بن إسماعيل الطالقاني سنة خمس وعشرين ومائتين، وسمعه ابن الزبيدي على أبي الوقت بسنده، قال لي ابن مزاحم: هذا طريق كله سماع"[23].

الرابع: أبو عبد الله محمد بن حسين القرشي الزبيدي:،" وممن ورد عليها – تلمسان _ لا يريد الإقامة بها، كما قال المقري الجد، ثم قال بعد ذلك:" حدثني بالصحيحين قراءة لبعضهما ومناولة لجميعها، عن أبي اليمن ابن عساكر لقيه بمكة سنة إحدى وثمانين وستمائة بسنده المشهور، وحدثني أيضاً أن أبا منصور العجمي حدثه بمحضر الشيخين والده حسين وعمه حسن"[24].

فهؤلاء الأربعة كانت لهم عناية بصحيح البخاري، وعقدوا مجالس لإسماعه في تلمسان وقد أخذ عنهم المقري الجد، بعضهم من أهلها وآخرين إما وردوا عليها أو سكنوها أعواما، فكان أثرهم وتأثيرهم في شرق وغرب المغرب الأوسط واضحا جليا بنشر الجامع الصحيح وقراءته.

ويضاف إلى هؤلاء الأربعة المقري الجد، فهو من أهل المغرب الأوسط قد تحمل عنهم البخاري، إلا أني لم أقف على خبر يدل أنه حدث بالبخاري وروى عنه الناس، والله أعلم.

ومنهم أيضا أبو عبد الله ابن مرزوق الجد: قال ابن الخطيب القسمطيني[25]: هو شيخنا الفقيه الجليل الخطيب، توفي بالقاهرة ودفن بين ابن القاسم وأشهب، وله طريق واضح في الحديث، ولقي أعلاماً، وسمعنا منه البخاري وغيره في مجالس، ومجلسه لباقة وجمال، وله شرح جليل على " العمدة " في الحديث"[26] انتهى.

وهذه العناية بالجامع تعدى فضله إلى المشرق الإسلامي حتى في العصور المتأخرة، ولا يزال علماء ومشايخ الجزائر لهم الحظوة والمكانة العلمية في المدارس المشرقية حتى في زمن الاستدمار الفرنسي لبلادنا لما رحلوا إليها

[23] – نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب :(5/ 238).

[24] – نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب: (5/ 239).

[25] – كذا في الكتاب، ويقال القسنطيني أيضا وكلاهما وارد وصحيح ، وهو أبو العباس أحمد بن حسن بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني صاحب كتاب الوفيات وغيرها من المصنفات، توفي سنة 810هـ. ترجمته في : تعريف الخلف 27، الأعلام للزركلي 17/1، معجم أعلام الجزائر: 27/1.

[26] – نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب : (5/ 414).

أو رحّلوا قسرا، **فهذا " الأمير (عبد القادر الجزائري) معتنيا أيضا بصحيح البخاري**، وكان تدريسه له في المدرسة الأشرفية المعروفة بدار الحديث النووية بسورية، وكان يدرس الحديث رواية بحضور جمع من العلماء بعد صلاة الظهر إلى صلاة العصر، وقد ختم البخاري وأقيم لذلك حفل ضخم وزعت فيه الإجازات العلمية، وأنشدت فيه القصائد. ولا ندري إن كان الأمير قد ترك تأليفا كاملا في علم الحديث"[27].

ثانيا: الشروح والمختصرات وفنون الدراية:

1- **شرح صحيح البخاري:** لمحمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق، العجيسي – قبيلة من البربر – التلمساني، شمس الدين أبو عبد الله الشهير بالخطيب والجد والرئيس 781هـ: فقيه، من أكابر علماء المالكية في عصره، له مشاركة في فنون الأدب والدين والعلم، ولد بتلمسان، ورحل مع والده الى الحجاز سنة 718هـ فحج وجاور، ثم عاد منفردا فدخل الشام ومصر فأخذ عن علمائها، رجع الى تلمسان سنة 733هـ، وله مصنفات منها "شرح صحيح البخاري"[28]. قال الكتاني:" الإمام فخر المغرب على المشرق نادرة الدنيا، شارح البخاري، والشفا،.."[29].

2- **" المتجر الربيح والمسعى الرجيح والمرحب الفسيح في شرح الجامع الصحيح"، و" أنوار الدراري في مكررات البخاري"**: كلاهما لابن مرزوق الحفيد التلمساني 842هـ قال ابن حجر: وَقدم علينا حفيده مُحَمَّد بن أَحْمد بن أبي عبد الله بن مَرْزُوق الْقَاهِرَة وَحج بعد الْعشْرين وَكَانَ قد وَقع لي شرح الشِّفَاء بِخَط جده فاتحفته بِهِ وسر بِهِ سُرُورًا كثيرا وَنعم الرجل هُوَ معرفَة بِالْعَرَبِيَّةِ والفنون وَحسن الْخط والخلق وَالْوَقار والمعرفة وَالْأَدب التَّام وَرجع إِلَى بِلَاده بعد أَن حدث وشغل وَظَهَرت فضائله – حفظه الله تَعَالَى ". [30]قال الكتاني: "الإمام فخر المغرب على المشرق نادرة الدنيا، شارح البخاري، والشفا،.. واسم الشرح:" المتجر الربيح والمسعى الرجيح والمرحب الفسيح في شرح الجامع الصحيح" لم يكمل، وأنواع الذراري في مكررات البخاري"[31]وزاد الزركلي".. وكان منه الجزآن الأول والثاني، بخطه في

---

[27] – تاريخ الجزائر الثقافي: (7/ 46).

[28] – الدرر الكامنة: 93/5.

[29] – فهرس الفهارس: 521/1، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: 340-341.

[30] - الدرر الكامنة : 96/5.

[31] – الضوع اللامع، للسخاوي: 50/7

الجامع الجديد بالجزائر، ثم فقد الأول"[32] ، "ولا يزال الجزءان بخزانة الجامع الجديد تحت عدد : 143 و 443.وهو لعمري من أوسع الشروح وأغزرها مادة وأجزلها مباحث"[33] والثاني سماه غير السخاوي : "أنوار الدراري في مكررات البخاري "[34].

قلت: عائلة ابن مرزوق مما يفخر به أهل المغرب الأوسط على المشرق والمغرب معا، لاتساع دائرتها في العلوم النقلية والعقلية، وانتشار فضلهم وأثرهم في الأمصار وقد استفاد منهم أمثال الحافظ ابن حجر والسخاوي وابن قنفذ القسنطيني وغيرهم، وعليهم مدار الكثير من الأثبات والفهارس والبرامج فكانت لهم حظوة عظيمة عند أصحابها كالكتاني وغيره.

3- "**الزند الواري في ضبط رجال البخاري**": لمحمد بن الحسن بن مخلوف بن مسعود المزيلي الراشدي، 868 هـ أبو عبد الله، ويعرف بأبركان (ومعناها بالبربرية: الأسود) وهو لقب أبيه: فقيه مالكي، محدث، **من أهل تلمسان**، وبها نشأ وتعلم، من آثاره "المشرع المهيأ في ضبط مشكل رجال الموطأ" مخطوط، و"**الزند الواري في ضبط رجال البخاري**" مخطوط، و"فتح المبهم في ضبط رجال مسلم" مخطوط..[35] وذكر الزركلي أنه رأى هذه الكتب الثلاثة في مجلد واحد، بخطه في خزانة الرباط[36].

ويظهر من خلال عنوان أن ابن مخلوف خصه بضبط ما يشكل من أسماء رجال البخاري، وهذا لا يعنى به إلا من كانت له معرفة تامة بأسماء الرجال وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبلدانهم وميزهم عن غيرهم ممن تتفق وتتشابه أسماؤهم وتختلف ذواتهم.

4- "**التسهيل والتقريب والتصحيح لرواية الجامع الصحيح**" لمحمد بن قاسم بن عبد الله الأنصاري، أبو عبد الله، الرّصاع 894 هـ[1488م]: قاض، نحوي، خطيب، عارف بالحديث، من فقهاء المالكية، ولد بتلمسان، ونشأ واستقر بتونس (سنة 831)، وولي قضاء الجماعة بها، ثم اقتصر في أواخر أيامه علي

[32] – الأعلام للزركلي: 331/5.

[33] – تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن الجيلالي، 212/2، وينظر أيضا: أضواء على المحدثين الجزائريين الذين خدموا صحيح الإمام البخاري، لأستاذنا مصطفى حميداتو ص 7./ وله نسخة أخرى في مركز الملك فيصل بالرياض برقم:311./310.

[34] – معجم 290/1 ينظر أيضا شجرة النور الزكية 365/1

[35] – معجم أعلام ص: 14.

[36] – الأعلام: 88/6

إمامة جامع الزيتونة والخطابة فيه[37]، "اختصر شرح البخاري لشيخنا وعندي أنه انتقاء لا اختصار"[38]، قال الكتاني: "كل هذه المؤلفات عندي وخصوصاً شرح البخاري، فإن جزءاً منه عندي عليه خطه"[39].

لم يذكر أحد من المترجمين للرّصاع أن له شرحين أو كتابين على الصحيح، ولكن يظهر أن الأول غير الثاني، فالأول عبارة عن مدخل في التعريف بالصحيح ورواياته وتصحيح ألفاظه وذكر الاختلافات وأسانيده إلى مصنفه، ويشبه أن يكون مختصرا من هدي الساري، ثم تبعه بمختصر آخر أو منتخب – على حد قول السخاوي – لفتح الباري، فيكون مصنفين في كتاب على هيئة الهدي والفتح، ويحتمل أن يكون كتابا واحدا وهو شرح أو اختصار للفتح بهذا العنوان، وهذا العمل من أفضال أهل المغرب على أهل المشرق في خدمة كتبهم ومصنفاتهم. والله أعلم بالصواب.

5- **شرح على صحيح البخاري**: بدأه الحاج الداودي التلمساني المتوفى سنة 1854م. وقد نشأ في تلمسان ثم ساح في الأرض، فذهب إلى فاس والقاهرة والحجاز، ثم رجع إلى تلمسان. ويبدو أن ذلك كان في عهد تاريخ المقاومة حيث هاجر العديد من المتعلمين. وقد تولى بعد رجوعه القضاء وتوفي بتلمسان. وكان الحاج الداودي قد اعتنى بحياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) فشرح قصيدتي البوصيري البردة والهمزية أيضا، كما أنه وضع حاشية على شرح السعد في البلاغة. ويدل ذلك على اهتمامه بالحديث والأدب[40].

6- **غنية القاري في ثلاثيات البخاري**: كتاب مذكور في ترجمة الشيخ عبد الحفيظ الخنقي،... وكان من علماء الوقت عندما وقع الاحتلال سنة 1830.[41]

وبهذا جمع علماء المغرب الأوسط خدمات جليلة حول البخاري تعددت مجالاتها بين الرواية سماعا وإجازة مع المعرفة التامة والقيام الجيد عليه معرفة وإحاطة، وبين الدراية من خلال التعريف برجاله وضبط أسمائهم، وشرحه إما على الاستيعاب أو اختصار المصنفات، أو التعليق وغيرها.

[37] – نيل الابتهاج: 323، وشجرة النور الزكية: 259 ، والأعلام: 7/ 228.

[38] – الضوء اللامع: 287/8.

[39] – فهرس الفهارس: 430/1.

[40] – ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي: (7/ 44).

[41] – تاريخ الجزائر الثقافي: (7/ 45). معجم أعلام الجزائر، ص 80.

الخاتمة:

وبعد رحلة علمية في حاضرتي بجاية وتلمسان وما تصل بهما من الحواضر العلمية الجزائرية وبيان جهود وأثر علمائها في خدمة جامع الإمام البخاري، يمكن أن نسجل النتائج الآتية:

1- أثبت هذا البحث – كما أثبت غيره – أن جامع البخاري له حظوة عظيمة عند أهل المغرب الأوسط مع الموطأ وصحيح مسلم.

2- كما أفاد الباحث أن أهل المغرب الأوسط لهم عناية برواية كتب السنة والنظر فيها والتفقه فيها أيضا عبر عصور طويلة ودهور متطاولة، مما يدفع عنهم دعوى الاهتمام بالمعقول والفلسفات وعلم الكلام والمنطق وغيره دون علوم السنة المحضة.

3- سجل البحث مدى اهتمام أهل الجزائر بعلوم الجامع الصحيح أحيانا اكثر من الحواضر العلمية العريقة كالأندلس فاحتاج أهلها إلى أسانيد الجزائريين في رواية الصحيح.

4- إن الحواضر العلمية – بجاية وتلمسان – كانت منابع علم وفقه لسقيا الناس في مشارق الأرض ومغاربها، وكان لأعلامها الدور البارز في نشر علوم الرواية والدراية في مدارس متعددة في المشرق والمغرب .

5- لقد استفاد علماء الشرق كابن حجر والسخاوي من علماء المغرب الأوسط لاتساع دائرتهم في المنقول والمعقول، وكذلك علماء الغرب الإسلامي، بل مدار الرواية وأكثر الأسانيد في الأثبات والمشيخات عليهم كما أقر بذلك الكتاني وغيره.

6- إن بعض مصنفات أهل الجزائر مما يفخر به أهل المغرب على أهل المشرق خاصة ما تعلق بشرح غريب الصحيح، ولعل هذا من مميزات علماء الغرب الإسلامي في العناية بمصنفات وكتب السنة.

7- إن عناية الامة الجزائرية بصحيح البخاري بهذا الترف العلمي يدل حقيقة على مكانة الصحيح بين كتب الإسلام جميعا خاصة كتب السنة.

8- وإن كان من توصية فلابد من السعي الحثيث من المؤسسات العلمية والجمعيات المتخصصة وأصحاب الجاه والسلطان في سبيل إخراج هذا التراث العظيم من خلال بعث الحركة العلمية في تحقيق كتب هؤلاء الأعلام مما ثبت وجوده وتحققت مرتبته ومكانته.

فهرس المصادر والمراجع:

1. أضواء على المحدثين الجزائريين الذين خدموا صحيح الإمام البخاري، مصطفى حميداتو، مقالة في مجلة الإحياء، باتنة، 2007م
2. الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ): دار العلم للملايين
3. تاريخ الجزائر الثقافي: أبو القاسم سعد الله (المتوفى: 1435 هـ)، دار البصائر للنشر والتوزيع- الجزائر، 2007 م.
4. تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن الجيلالي، دار الأمة، الجزائر: 2008.
5. تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مبارك بن محمد الميلي الجزائري (المتوفى: 1364هـ)، تقديم: محمد الميلي: المؤسسة الوطنيّة للكتاب بالجزائر: 1406هـ - 1986م
6. تعريف الخلف برجال السلف : أبو القاسم محمد الحفناوي، طبع في الجزائر.
7. التكملة لكتاب الصلة: ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (المتوفى: 658هـ): عبد السلام الهراس: دار الفكر للطباعة - لبنان: 1415هـ- 1995م
8. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ، ت / محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، سنة النشر 1392هـ/ 1972م
9. سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، محمد بن جعفر الكتاني، ت: حمزة محمد الكتاني، المغرب، د.ط.
10. سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : 748هـ): مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط: مؤسسة الرسالة، الطبعة : الثالثة ، 1405 هـ / 1985
11. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (المتوفى: 1360هـ)، علق عليه: عبد المجيد خيالي: دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2003 م
12. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.الطبعة: الثانية، 1995 م
13. عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجايَة: أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد، أبو العباس الغِبْرِيني (المتوفى: 714هـ)، ت: عادل نويهض: منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة: الثانية، 1979
14. فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي: دار المعرفة - بيروت، 1379م

15. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني (المتوفى: 1382هـ)، ت: إحسان عباس: دار الغرب الإسلامي - بيروت الطبعة: 2، 1982م.

16. كرسي صحيح الإمام البخاري بجامع القرويين بفاس، محمد بن عزوز ، مركز التراث المغربي، مراكش، المغرب/ دار ابن الجوزي، ط1، 2010م.

17. مُعجَمُ أعلام الجزائِر – مِن صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر: عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، 1400 هـ - 1980 م.

18. معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ): دار صادر، بيروت

19. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت

20. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (المتوفى: 1041هـ): إحسان عباس: دار صادر- بيروت - لبنان / لطبعة الأولى 1968ا

21. نيل الابتهاج بتطريز الديباج: أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد التكروري التنبكتي السوداني، أبو العباس (المتوفى: 1036 هـ)ت: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة: دار الكاتب، طرابلس – ليبيا، الطبعة: الثانية، 2000 م

22. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البابانى البغدادي (المتوفى: 1399هـ): طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول 1951: دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان.

Sahihelboukhari23@gmail.com